

عقدة الأنوثة في الإبداع النسوي

د:نورة حادي/جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر

الملخص:

في إطار الحديث عن أدب المرأة تطرح الكاتبة أحلام مستغانمي فكرة الأنوثة في الواقع العربي، كونها تهمة يراد التخلص منها، و نفيها بدافع السلطة الذكورية، و تراها مستعمرة ترفض الأثني و تحتقر النساء، أينما وجدن حل بمن غضب ، و حيثما نشأن اعترهن النقص و العطب، منددة بإصرار على اقتصار نفحة الإبداع على الرجال دون النساء، باعتبارهن قاصرات على جميع الأصعدة ،حتى إذا ما تعلق الأمر بالأدب و الكتابة .

و في ظل هذا الاحتقار و الدونية ،تطرح الكاتبة ملامح امرأة عربية نائرة على جميع الميادين و الذهنيات قادرة على اقتحام ما يعتقد المستعمر الذكوري الاستيلاء عليه، و بحكمة متناهية ، كاحترامها لطقوس الكتابة و حميميتها التي لا يتقنها رجل، و جعلها في المقابل هذا الأخير، مرتبط بالتقص و التشوه و العطب،... و الموت.

و هي بذلك تفرض نموذجا إبداعيا خاصا(أنثويا) إن صح التعبير، من حيث الموضوع ،أو الطرح ،أو التقنية.

الكلمات المفتاحية : الأنوثة ،الأدب النسوي، الكتابات النسائية، التمرد ، التحرر ، الرضوخ ،اللغة، المجتمع الذكوري.

تهمة الأنوثة في الإبداع النسوي...

في إطار الحديث عن أدب المرأة تطرح الكاتبة أحلام مستغانمي فكرة الأنوثة في الواقع العربي، كونها تهمة يراد التخلص منها، لأننا ننتمي إلى مجتمع ذكوري يرفض الأثني و يحتقر النساء، منددة بإصرار على اقتصار نفحة الإبداع على الرجال دون النساء، باعتبارهن قاصرات على جميع الأصعدة ،حتى إذا ما تعلق الأمر بالأدب و الكتابة .

فلطالما تحدثت أحلام مستغانمي عن رفضها لاتخاذ الأنوثة حاجزا أو عارضا لإبداع المرأة، فراحت ترسم ملامح امرأة نائرة، معترضة، ناقمة على وضع المرأة العربية، حتى غدت نموذجا للرفض والاستسلام.

الكاتبة امرأة تحكي قصتها على لسان رجل، وهو أمر لم يكن من قبيل العيب و لا المصادفة؛ بل باعتفه هو الدفاع عن كيان الأثني و الخروج بها من دائرة الاختزال التي وضعها لها المجتمع الذكوري، من خلال مبارزتها اللغوية و جعلها في المقابل هذا الأخير، مرتبط بالتقص و التشوه و العطب،... و الموت.

وهي القائلة أيضا «.. وإذا كنت دائما أطمح ألا تكون أنوثتي، هي جواز مروري إلى القارئ، فإنني أرفض أن تكون حاجز التفتيش الذي تنتهك فيه كتي، ويستباح فيه شرفي بذريعة النقد الأدبي»؛ فهي تدعو النساء لرفض وجودهن، وتعزيز مكانتهن، دون التعرض لأنوثتهن"ومن خلال هذا الطرح تبغي الانتصار لوضع المرأة ، و الإقرار بتأنيث اللغة ، وكسر سطوة اللغة الذكورية .

من الغني عن البيان أن الروائية في إشارة صريحة، لما حدث لها بسبب إصدار كتابها (رواية ذاكرة الجسد) (جميل كل ما يمكن أن يحدث بسبب كتاب)، ذنبها في ذلك كونها امرأة تتوج أعمالها الأنوثة، «ولا أظن أيضا.. أنني كنت امرأة بطلة، فقط... كنت أتحدى القتلة، شاهرة التهمتين اللتين جمعتهما : تهمة الأنوثة وتهمة الكتابة تلك التي كانت تحديا صامتا في يدي، ودفترها مغلقا على قصة، الكتابة فيها هي البطل الرئيسي»¹ فباسم الأنوثة شكك في عدم انتساب " ذاكرة الجسد" لها، وأن ثمة رجل يملئ عليها أفكارها ، وهي المصرحة في ندوة "المرأة والكتابة" أن «إبداع الأنثى العربية هو ضرب من ضروب الخوارق لأنها مقعدة على مستوى الخلق الأدبي، وأن ما يسمح به لها، هو تكرار الخلق البيولوجي، الذي لا ينتج غير قبلة ديمغرافية لذا فإن المسألة ليست مسألة "ذاكرة الجسد" ولا القضية قضية أحلام مستغامي، وإنما كوننا ننتمي إلى مجتمع عربي ذكوري يرفض الأنثى ويحتقر النساء ، حتى إنه ما ظهرت كاتبة أو شاعرة عربية إلا وجاء من يقول :إن ثمة حتما رجل يكتب لها ،...»²

فالكاتبة تندد بإصرار على اقتصار نفحة الإبداع على الرجال دون النساء باعتبارهن قاصرات على جميع الأصعدة، حتى إذا تعلق الأمر بالأدب والكتابة ، ويضيف صاحب المقال معلقا أنه «واضح من قولها أن تلصق صفة الذكورية، بمجتمع يمارس قمعه وسلطانه على الأنثى بوصفها آخر لا يمكنه أن يتعدى المهمة الموكلة إليه : "الإنجاب" ويدخل عالم الكتابة و الإبداع، كما تصرفت سيمون دي بوفوار مع المجتمع الفرنسي»³

وقلنا لهذه المهمة، وعكسا لهذه الأدوار، فقد جعلت بطلة رواية " فوضى الحواس " عاقر كي لا تقف عقدة الأمومة حاجزا أمام كتاباتها وهكذا فقد سجل نص الرواية هذا الآخر (الرجل) في درجات مختلفة على امتداد فصول الرواية (بدءا، دوما، حتما، قطعاً) وهي المفردات المستعملة بكثرة في (ذاكرة الجسد) ، كطريقة تعبير تدل على القطع، والحسم، والموقف الصارم .

فقد بدأت الرواية بقصة قصيرة فيها تعالي الأنا، والرد على من زعم أن الرواية ليست لها، والسخرية من الرجل الذي يدعي لنفسه مصداقية الكتابة والتألق، فجاءت ردا على هذا الادعاء وبطلانه «.. وحده ذلك الرجل يعني... بي تحد ليس أكثر»⁴ فهي تريد استنطاقه ، وإجباره على ما يقول لتبهره من خلالها بمقدرتها اللغوية ففي اصطدامها بهذا الرجل ترى فيه فرصة لإظهار قدرتها على الإبداع، التي تجزم أنها تفوقه وتبهره في كل مرة، حتى وان كان ذلك يتخذ علاقة غريبة وشبه مستحيلة، فإنها تتخذ مجرى الكتابة، وحافز التحدي فالرجل الذي يكتب قصة للمرأة هو ضرب من الهوس والتمادي في احتقار وضع المرأة للغة (امرأة من ورق) ، و(رجل من حبر) فالحبر (الكتابة) لا يعني الاقتدار والتفوق الفحولي فقط، ولا هو اقتصار عليه، بدليل أنها تنتقد طريقته ووضعه في الكتابة: «لم أفهم يوما كيف بإمكان البعض أن يكتب هكذا في مقهى أو في قطار دون أي اعتبار لحميمية الكتابة،... وبإمكان الجميع أن يتابعوا عن بعد، كل أوضاعك النفسية، وتقلباتك المزاجية أمام ورقة»⁵ وهذا ما يحيل (يشي) إلى دراية المرأة -الكاتبة وحميمتها لعالم الكتابة ، وخلق الأجواء لممارستها، التي -قد- تندر عند الرجل، بل ترى فيه ضعفا وعدم الوفاء للإبداع ، وبالتالي مدخلا لانتقاده (الرجل) ورفع التحدي في وجهه ، كهذا الذي رفعته في

وجه القارئ «منذ الأزل.. وأنا أبحث عن قارئ يتحداني ويدلني أن توجد "الطاولة" و"الأريكة" في كل كتاب!»⁶ وهو تحدٍ ترفعه في وجه الرجل ، سواء أكان قارئاً عادياً، أم أقرب الناس إليها « زوجي مثلاً لم يوفق يوماً في تمييز الأثاث الحقيقي عن الأثاث المزيف ، في أي نص كتبته ولذا أصبح يبدي انزعاجه من جلوسه لساعات أمام طاولة الكتابة، بدل تخصيص هذا الوقت لطفل لا يأتي دون أن يعترف تماماً بأن ما يزعجه، هو الكتابة في حد ذاتها كعمل مواجهة، و مراوغة صامتة ،لم يستطع برغم إمكانياته البوليسية التجسس على مصداقيتها»⁷ وهي بالتالي ترى أن الكتابة في حد ذاتها بالنسبة للمرأة عمل مرفوض ، منبذ مستهزأ به، لأن من واجبها -حسب ما منحها الطبيعة من أنوثة - هو الأمومة لا غير، وهذا ما فسرناه من انزعاج زوجها من الكتابة، وفضل لو تتفرغ لمعالجة عقدة العقم، والتصالح مع أنوثتها.

ونظراً لهذا التقصير والدونية بالنسبة للمرأة ترى أن الرجل حالة لغوية يجب مباراته بذلك القدر من الذكاء والإبداع، كي تثبت مدى أحقية المرأة وعدم استئصالها في هذا المجال ، رافعة التحدي في وجهه شرط أن يكون على قدر تفوقها، ومقدرتها اللغوية «... أنزعج من هذا المنطق العجيب للأقدار الذي يجعل دائماً في كل علاقة بين رجل وامرأة طرفاً لا يستحق الآخر وربما تمنيت سرا لو كان هذا الرجل لي، إنه على قياس صمتي ولغتي وهو مطابق لمزاج حزني وشهوتي»⁸

حلام مستغانمي من هذا الطرح تبغي الانتصار لوضع المرأة ، التي تملك من الاستطاعة والافتقار على أن تكون ندا للرجل -الذي يظن أنه وحده -يمتلك ناصية اللغة ، والتلاعب بكلماتها، فذلك زمن قد ولى لتكون فيه أحلام في المقابل، الطرف المناسب واللائق ، على قدر كلماته ولغته : وهي القائلة أن الأدب والكتابة ليس مُلكاً ولا حكرًا للرجل وحده بل للمرأة باع وشأن في ذلك عظيم ، فأحلام مستغانمي -حسب الدارس خالص مسور -«حاولت أن تصل مع قارئها إلى الإقرار بتأنيث اللغة أو كسر سطوة اللغة الذكورية ، وتخفيف عبئها عن كاهل المرأة ، لنتفتح بها طريق الإبداع و التمايز لكتابتها القصصية الحديثة الهادفة.»⁹

يسايره في هذا الرأي أيضا الدارس محمد غرناط¹⁰ كون مستغانمي تبغي إخضاع اللغة لشروط الأنوثة ، في سياق استعادة حق الكلام، و تجاوز السائد المغلق .

وهنا يحضرنا قول الدارس عبد الله الغدامي، الذي يرى في إبداع المرأة كسر لأحقية اللغة، وفحولتها للرجل فحسب : «...ولكن المرأة تجرأت على هذا الاحتكار، ودخلت تعلن عن أنوثة اللغة، ولتضع (الأنوثة) بإزاء (الفحولة) لتضيف مصطلحا أدبيا جديدا، وتدخل في اللغة (مجازا) لم يكن من قبل»¹¹.

فالغدامي يرى في إبداع مستغانمي إعلان للأنوثة، بوصفها قيمة لغوية في محاولة كسر موروث عريق من الفحولة الذكورية، في عالم الإبداع باعتبار أن هذه الأخيرة القيمة المطلقة لشعرية اللغة، بل وأكثر من ذلك فالروايات المستغانمية لم تكتب إلا للاحتفاء باللغة وزهو شعريتها، لذلك قال « لن نخطئ لو قلنا إن الرواية لم تكتب إلا من أجل تمجيد اللغة والاحتفال بها،... وطفقا بطلا النص يكتشفان اللغة العربية، يعودان إليها، ويدخلان في سحرها...»¹²

فالكتابات المستغامية دليل صارخ لإعادة الاعتبار الأنثوي، والقدرة على التمييز والانفراد ، وليس هذا فحسب ، بل لها من الانسيابية والجرأة، مالا يمكن لغيرها (الأخر) ، وفي هذا ما يشي بتعالى الأنا وتضخيمه ، كأن تقول « سعدت بهذه النهاية التي لم أجهد نفسي كثيرا في العثور عليها...»¹³ وكأنه اعتراف منها على سلاسة وانسيابية الكتابة، رفعا لوضعها الأنثوي الإبداعي القادر على التفوق وهزيمة عالم ذكوري.

خلال هذا التمثيل ترمي لصورة الرواية النسائية العربية، الذي طعن في نجاحتها ذلك الصحفي المغمور، الذي أراد رسم نجاحه على جثة التشكيك في عملها، وبعض معارفها من قسنطينة، الذين استكثروا اسم الشهرة والفوز عليها، في بلد لا يعترف بنجاح المرأة العربية، وهو ما كشفت عنه في ملتقى "الرباط الدولي"، بمقال عنونته "لعنة العروبة... وقصص النجاح والأنوثة"، ثم جعلت روايتها وعاءه، وذلك في خضم ما انتقدت وثار على الكثير من المظاهر المتفشية في المجتمع، والتي تود محاربتها، وتعريتها، بلغة تنأى عن المباشرة.

الأمكنة: الحمام

الحمام: لن نتطرق هنا للحمام كحيز تجري فيه أحداث الرواية، وإنما كموضوع تسخر الكاتبة مما قد يوحي بإهانة المرأة والإساءة لأنوثتها ذلك أن «الحمام هو المكان الذي يمكن أن تلتقي فيه بكل نساء المدينة، ومثلهن يمكنها أن تثرثر و تحكي ما جدّ في حياتها، وتباهي بمشترياتها الجديدة، وصيغتها وثيابها التي لم يرها رجل»¹⁴

تراهن الكاتبة على أن أمها تستند إلى حقيقة واحدة هي "الآخرين" سواء أقصدت مكة أو الحمام، الذي لم يسلم من استغلاله كمكان للتفاخر والتباهي، حتى انه خرج عن الهدف الموضوع له أصلا، لأداء طقوس النظافة، وهو ما جعل الكاتبة تستاء من هذا الأمر «حتى إنني قبلت أن أرافقها بعد ظهر اليوم إلى "الحمام التركي" برغم أنني لم أكن أشاركها يوما حماسها لطقوس النظافة الأسبوعية، في هذا الحمام الجماعي»¹⁵

فالكاتبة تبدي استنقاها لهذا المكان، بل واشمئزازا منه، لأنه يذكرها بأنوثتها، وبالتالي بالنظرة القاصرة للمجتمع لها، لذلك فهي تكره الحمام ف « هو المكان الذي تنتهك فيه حرمة الجسد وحيأؤه، تسلط عليه الأضواء، والنظرات الفضولية للنساء، تتتالي عليه الأيدي حكا ودلكا وتشطيفا، ساكية عليه كميات هائلة من الماء، وكأنها تريد أن تطهره من أنوثته»¹⁶.

و تعود أحلام لتقدم لنا الأشياء على غير منوال سابق، فالحمام بالنسبة لها سجانا يريد أن يقتص من الأنوثة، أنيلغيها، أو لا يعترف بوجودها ومن هنا نجم كرهها له، وسخرتها من نساء يتناوبن عليه كل أسبوع بنية التطهر من هذه التهمة "بإصرار من يبعد عنه تهمه"

ما تسخر منه الكاتبة ولا تتقبله ، تَبْرُءُ النساء من أنوثتهن واعتبارها حاجزا، وضعفا يرفض المجتمع تقبله، وهي المرأة التي أنكر أن ينسب لها عمل إبداعي - يراه النقاد-رائعا، ويحتملون وجود رجل يكتب لها، أو يملي عليها .

فمفارقة الكاتبة هنا ناتجة عن تلك القداسة التي يشكّلها النساء سبيلا وحيدا لإثبات الوجود و الأنوثة، في حين أنّها ترى لها مجالات أخرى تحقق القوة و التفرد، بل بالعكس فإنّها ترفض أن تحاسب على أنها كاتبة بـ "تاء التأنيث" طالما أننا ننتمي لبلد يحتقر الأنوثة ويريد التخلص منها، بدليل كونها نجاسة، وتهمّة، وهي رؤية تعود بنا لما كانت تعانيه النساء قبل مجيء الاسلام.

فمن خلال هذا المكان الذي تربطها به علاقة معقدة متنافرة تحارب تلك النظرة الجاهلية، التي لازالت راسبة في أذهان بعض أفراد المجتمع من النساء .

كما تنتقد من جهة أخرى أن يحملن النساء عرش الملكوت من هذا المنطلق، و به فقط، بل تستطيع النساء الرفع من شأنهن ما يضاهي عرش الملك، وتاج الإمارة بالخوض في ميادين شتى وأمور عدة، عدا باب الأنوثة وسحرها أو نغمها، ومن خلاله تسخر مرة أخرى من عالم المظاهر هذا، الذي تجد فيه تبيذرا للحقيقية و تزويرا للواقع.

و هي القائلة أيضا «.. وإذا كنت دائما أطمح ألا تكون أنوثتي، هي جواز مروري إلى القارئ، فإنني أرفض أن تكون حاجز التفتيش الذي تنتهك فيه كتيبي، ويستباح فيه شرفي بذريعة النقد الأدبي»¹⁷؛ فهي تدعو النساء لرفض وجودهن، وتعزيز مكانتهن ، دون التعرض لأنوثتهن "

لطالما تحدثت أحلام مستغاني عن رفضها لاتخاذ الأنوثة حاجزا أو عارضا لإبداع المرأة، فراحت ترسم ملامح امرأة ثائرة، معترضة، ناقمة على وضع المرأة العربية، حتى غدت نموذجا للرفض والاستسلام، متسائلة «...ومن أين جاءني أنا كل هذه الحرائق؟ أمن تمردي على كل شيء؟ أم من براكين الكلمات التي تنفجر داخلي باستمرار...؟ كيف يمكن لهذا الرماد أن يلد كل هذه النيران التي تسكتني؟

هاهو ذا مسحوق الرماد، يلد كل هذا الجمر، كل هذه السيول النارية التي أحرقت في داخلي كل شيء، كل القناعات الجاهزة، كل الأكاذيب التي توارثتها النساء»¹⁸

فتمردها لم يكن لاحقا لسابق، ليس أمرا وراثيا، بدليل أنّها رفضت كل المكتسبات القبلية، بل تمردها ناجم عن قناعة ذاتية، ترفض استسلام المرأة، وتدعو لثورتها.

فهي ليست نسخة مكررة لنساء يتخذن من الأنوثة تاجا لضعفهن « كنّ نساء الضجر، والبيوت الفائقة الترتيب، والأطباق الفائقة التعقيد والكلمات الكاذبة التهذيب، وغرف النوم الفاخرة البرودة،... وكنت أنثى القلق أنثى الورق الأبيض، والأسرة غير المرتبة، والأحلام التي تنضج على نار خافتة، وفوضى الحواس في حالة الخلق. أنثى عباؤها كلمات ضيقة، تلتصق بالجسد، وجملة قصيرة، لا تغطي سوى ركبتني الأسئلة.

منذ الصغر كنت فتاة نحيلة بأسئلة كبيرة، وكانت النساء حولي ممتلئات بأجوبة فضفاضة.

ومازلن دجاجات، ينمباكرا، يقفن كثيرا، ويقتتن بفتات الرجولة وبقايا وجبات الحب التي تقدم إليهن كيفما اتفق، ومازلت أنثى الصمت وأنثى الأرق.

فمن أين أتى بالكلمات، كي أتحدث إليهن عن حزني؟¹⁹

فأحلام تطرح نفسها امرأة متمرده، ترفض الانتماء لمجتمع نسائي، يتخذ من الأنوثة تذكرة عبور إلى العالم الذكوري، بل لطالما كانت أنثى الإبداع، أنثى التمرد، تأبى أن تُحسب على هذا النوع من النساء، منتقدة عاداتهن في الكلام، عاداتهن في السلام، وحتى في الأعياد وفي طقوس النظافة، لأنها « منذ البدء، خلقت لأكون كائنا من حبر، تلغيه هذه الكميات الهائلة من الماء والبخار؟²⁰ اعترافا بنزعة الإبداع الوراثية.

فقد طال تمرد الكاتبة، وانتقادها حتى للعادات والتقاليد التي ترى فيها استسلاما ورضوخا للأنوثة، فهي لا تريد اقتسام أي شيء معهن مادمن يقدرهن، ويعتمدن أنوثتهن سبيلا للوصول.

فالكاتبة امرأة ولدت عندها عقدة العقم فراغا، ملأته إبداعا وكتابة ثم إنها متشبثة بقناعاتها، غير مستسلمة للمتغيرات « ولم يكن من أمل في تبديلي: لقد ولدت اقتناعاتي معي²¹، مما يؤكد نظرة الكاتبة المعادية للسائد والمألوف، المتشبثة دوما بما تمليه عليها قناعاتها لا ما عهدنا عليه المرأة من وضع وأفكار، حتى نظرتها للحرية « أما حريتي فقد جاءت معاكسة لمنطق حريتها، لقد أصبحت أنا امرأة حرة فقط لأنني قررت أن أكف عن الحلم²²»

فالكاتبة تطمح إلى الإبداع الذي يززع كل القناعات الجاهزة، وكل المسلمات المتوارثة التي تصطدم مع مبادئها وأفكارها، في مواجهة رفع تهمه الأنوثة، وفرض إبداع المرأة العربية منهجا وطريقة تفكير.

فهي شخصية تنأى عن بساطة الحياة العادية، لذلك «كنت أريد أن أحتفي بعودتي إلى الحياة، وأعطي إشعارا لمن حولي بذلك أن أتقاسم معهم حياتهم العادية، بمشاغلها وتفاهتها اليومية، بأحاديثها وضجرها... بأفراحها... أن أعود أخيرا امرأة طبيعية بعائلة وبيت²³»

وكانت الكاتبة تؤكد أن الحياة دون إبداع، وثورة، وتركبصمات، تافهة عديمة القيمة، إذ لا تريد التساوي برتبة النساء العاديات، كونهن راضحات، مستسلمات، في مقابل ثورتها، التي ترفض أن تحسب على هذا النوع من النساء. وبهذه المنطلقات تكون قد طرحت فلسفة مختلفة للعديد من المفاهيم والرؤى تروم بها مخالفة المعتاد، وتجاوز السائد.

الشخصيات: الأم

الأم :

لم نَعثر على ملامح خارجية مباشرة لهذه الشخصية، بل كان عرضاً تحدوه الشعرية، ويملاًها الرمز، والتي مررت من خلالها نموذج المرأة المسالمة، الراضحة، الراضحة لكل تغيير .

وهي تيمة أخرى تتوجب الرفض و الثورة لراهن منقاد، حيث تقول «أتأملها في أنوثتها المعطوبة، في جمالها المسالم، في مرحها البسيط الذي يجاور الحزن هاهي غامضة وهادئة كالجوكندا، وأنا أكره الجوكندا، أكره الملامح الهادئة، والأنوثة المسالمة، والأجساد الباردة، فمن أين جاء أمي كل هذا الصقيع ؟ أمن استسلامها للقدر أم من جهلها ؟ »²⁴ مركزة لا على ملامح خارجية بل رؤيتها للحياة و ظروفها البالية « في الثالثة و العشرين من عمرها، خلعت أمي أحلامها، خلعت شبابها ومشاريعها، ولبست الحداد اسماً أكبر من عمرها ومن حجمها. لقد وقعت في فخ الرموز الكبرى، بعدما وقعت قبله في فخ الزواج المدبر وهذه المرة أيضاً لم يستشرها أحد، إن كان هذا الاسم الكبير يناسبها ثوبا أسود حتى آخر أيام عمرها، وإن كانت تفضل أن تكون زوجة لرجل عادي، أو أرملة لرمز وطني، لقد وجدت نفسها أمام الأمر الواقع، بطفلين صغيرين..... واسم كبير!» فهذه شخصية تطرح لنا واقع الأرملة، التي خلت حياتها سوى من مظاهر التفاخر و التباهي ملاً للفراغ، وتعويضاً للنقصان عن كل الرجال الذين ملؤوا حياتها، ليفرغوها من الأمان و الهدوء (زوجها، ابنها...) و لم يبق لها سوى ابنتها، الخيط الوحيد الذي تمسك به حين رحل رجالها « وكنت أتفهم حاجتها الدائمة إلى حناني، فهي التي ترملت في سن العشرين وتيتمت قبل ذلك في طفولتها، لا تفهم أن تطاردها الحياة حتى ذريتها وأن يكون قدرها أن تعيش بين ابنة عاقر وابن غائب»²⁵

الكاتبة امرأة تحكي قصتها على لسان رجل، وهو أمر لم يكن من قبيل العيب و لا المصادفة؛ بل باعتة هو الدفاع عن كيان الأنثى و الخروج بها من دائرة الإختزال التي وضعها لها المجتمع الذكوري، من خلال مبارزتها اللغوية وجعلها في المقابل هذا الأخير، مرتبط بالنقص و التشوه و العطب،... و الموت.

كما تجعل جنس الرجال مقترن بالغياب و الرحيل، في حين ارتبط جنس الأنوثة بالوفاء و الإمتلاء.

ولست مستغامي الوحيدة التي ترفض استهتار الأنوثة في غياب الرجولة، بل هي واحدة من ضمن الكاتبات اللواتي يرفضن ارتباط الأنوثة بإبداعهن، واتخاذها ممرا للعبور و الانتقاد.

كاتبات اشتهرنّ بكتاباتهنّ الجريئة، ووسطرن روايتهن بحروف من جرأة وتمرد، اخترن التغريد خارج السرب، فقدا رتبتا أسمائهن بالأدب النسوي، والأدب الإباحي، وغير ذلك من التسميات التي صنفن ضمنها. كما هو الحال مع نوال السعداوي التي ترى أن "نقطة الضعف التي يركز عليها الرجل في محاولته السيطرة على المرأة، حمايتها من الرجال، غيرة الذكر على أنثاه، يدعي أنه يخاف عليها وهو يخاف على نفسه، يدعي أنه يحميها ليستحوذ عليها ويغلق عليها أربعة جدران"

وهي من الكاتبات اللاتي امتهن الدفاع عن المرأة بشكل مبالغ فيه، متعددة كل الخطوط الحمراء، بداية من كتبها التي تناقش الجنس بشكل واضح وصريح، مروراً بتصريحاتها الدينية المثيرة للجدل.

كما ترفض عادة السمان أن لا تتعدى حقوقها حق الأكل و الشرب و الإنجاب من خلال كتاباتها الإباحية الجريئة.

ولا تقبل كولييت حوري من جهة أخرى أن لا يزيد دورها عن الطهي و الإنجاب، دور يقزم قيمة المرأة و يسيء لأنوثتها، ويدفعها في المقابل للتمرد و الجنون، التمرد ذاته الذي كان هاجسا لكتابات سمر يزبك خاصة روايتها " رائحة القرفة " التي تخطت كل الحدود، كما فعلت ليلي بعلبكي في روايتها "أنا أحياء" و التي انضمت بدورها إلى قائمة الكاتبات الغاضبات على الصورة التي حصرها فيها المجتمع الذكوري، هذا المجتمع الذي ألصق صفة الأنوثة بالمرأة ضعفا واحتقارا وتحايلا، أزعج الكاتبات، و أفاض قرائنهن، متخذات من ذواتهن أسماء و عناوين لمواضيعهن كما فعلت فضيلة الفاروق في "تاء التأنيث" التي ترى من خلالها أن المرأة أداة لإطفاء الشهوة لا غير،

إن هذا الوضع المنحاز دفع بالمرأة إلى العزف على وتر التمرد و الرغبة في التحرر، بل و تجاوز السائد المؤلف من خلق نوع جديد من الكتابات الإباحية ذات الخطوط الحمراء .

فالكتابات المستغامية أو غيرها من الكتابات النسائية المتمردة صرحت باسم الأنوثة منادية بالتحرر و الإباحية، رافضة لكل أشكال العبودية، من خلال التركيز على الكبت الذي تعيشه المرأة العربية عموما، وحثها على الرفض و التمرد بكل أشكاله، فهل لنا أن نعرف من أين تَوَكَّل الكتف؟؟

الخاتمة:

إن التجربة الروائية المستغامية دفاعات متكررة عن المرأة، ترفض الاستسلام و الخضوع لواقع فرضه أو يريد أن يفرضه المجتمع الذكوري، ترفض أن تنادى باسم التأنيث، ترفض أن يطمس تاريخها الإبداعي بتاريخ أنثوي محتقر، تأبى التوجه الإستعماري المتسلط الذي يجعل من الأنوثة مملكة بلا عاصمة و لا عنوان، فلطالما رددت في رواياتها -وبعد أن تنهي مغامرتها الإبداعية - أخيرا

سأعود امرأة عادية بعائلة و بيت، حتى يخيل للقارئ ، أن الذي يكتب ذات ثائرة، ترفض المعتاد و الأصل، تبغي التمرد و الإفلات من العقل .

المصادر و المراجع:

- 1- أحلام مستغامي: رواية فوضى الحواس. دار الآداب، بيروت لبنان، ط2000، ص15.
- 2- خالص مسور : الكاتبة الجزائرية في قصتها " ذاكرة الجسد . دار توبقال للنشر، 2002 .
- 3- محمد غرناط : الشخصية النسوية في ثلاثية أحلام مستغامي . دار الآداب، بيروت، لبنان، 1998.
- 4- عبد الله الغدامي: المرأة واللغة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب. بيروت-لبنان، ط3

الهوامش:

- 1- أحلام مستغامي: رواية فوضى الحواس. ص: 359 .
- 2- قضية أحلام مستغامي بين ذاكرة الجسد و ذاكرة الآخرين ، مجلة أفق ، الموقع www.ofouq.com: صفحة الأترنيت
- 3- ينظر: المرجع السابق ، الموقع www.ofouq.com: صفحة الأترنيت .
- 4- أحلام مستغامي : فوضى الحواس . ص: 27-28
- 5- المرجع السابق . ص: 65 .
- 6- المرجع نفسه. ص: 96
- 7- المرجع نفسه. ص: 97
- 8- أحلام مستغامي: فوضى الحواس . ص: 27 .
- 9- خالص مسور : الكاتبة الجزائرية في قصتها " ذاكرة الجسد . ص: 98 .
- 10- محمد غرناط : الشخصية النسوية في ثلاثية أحلام مستغامي . ص: 62 .
- 11- عبد الله الغدامي: المرأة واللغة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب. بيروت-لبنان، ط2006، ص3، ص180.
- 12- المرجع السابق . ص : 193 .
- 13- أحلام مستغامي : فوضى الحواس. ص : 31.
- 14- المرجع السابق ص: 229 .
- 15- المرجع نفسه. ص. 230 .
- 16- المرجع نفسه. ص: 232 .
- 17- مقال: من الذي كتب رواية ذاكرة الجسد، ندوة المرأة والكتابة مهرجان الرباط الدولي. يونيو 2000، صفحة الأترنيت، موقع Google.
- 18- أحلام مستغامي : فوضى الحواس . ص 102.
- 19- احلام مستغامي : رواية فوضى الحواس . ص 124-125.
- 20- المرجع نفسه. ص 231
- 21- المرجع نفسه. ص 122-123.
- 22- المرجع نفسه. ص 145.
- 23- المرجع السابق. ص 273.
- 24- احلام مستغامي : رواية فوضى الحواس. ص: 102.
- 25- المرجع نفسه. ص : 228 .